الاستبداد بغيره فانه لابد له منه فليجتهد في مراقبته ومحاسبته وليحذر من اهماله
ويعينه على هذه المراقبة والمحاسبة معرفته انه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غدا
اذا صار الحساب الى غيره وكلما اهملها اليوم اشتد عليه الحساب غدا ويعينه عليها ايضا
معرفته ان ربح هذه التجارة سكنى الفردوس والنظر الى وجه الرب سبحانه وخسارتها
دخول النار والحجاب عن الرب تعالى فاذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم فحق على
العاقل المؤمن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها
وسكناتها وخطراتها فكل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا خطر لها يمكن ان
يشتري بها كنوز من الكنوز لا يتناهى نعيمها ابد الآباد فاضاعة هذه الانفاس واشتراء
صاحبها بما يجلب هلاكه خسران عظيم لا يسمح بمثله الا اجهل الناس واحمقهم واقلهم
عقلا وانما يظهر لك حقيقة هذا الخسران يوم التغابن يوم تجد كل نفس ما عملت من
خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا

فصل

ومحاسبة النفس نوعان نوع قبل العمل ونوع بعده فاما النوع الاول فهو ان يقف عند
اول همته وارادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه قال الحسن رحم
الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى وان كان لغيره تاخر وشرح هذا بعضهم
فقال اذا تحركت النفس لعمل من الاعمال وهم به العبد وقفا ولا ينظر هل ذلك العمل
مقدور له ام غير مقدور ولا يستطاع فان لم يكن مقدورا لم يقدم عليه وان كان
مقدورا وقف وقفة اخرى ونظر هل فعله خير من تركه ام تركه خير من فعله فان كان
الثاني تركه ولم يقدم عليه وان كان الاول وقف وقفة ثالثة ونظر هل الباعث عليه
ارادة وجه الله وثوابه ام ارادة الجاه والثناء والمال من المخلوق فان كان الثاني لم
يقدم عليه وان افضاه الى مطلوبه كسلا تحتاد النفس الشرك ويخف عليها العمل
لغير الله فقد رما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله حتى يصير اثقل شيء عليها وان
كان الاول وقف وقفة اخرى ونظر هل هو معان عليه وله اعوان يساعدونه
وينصرونه اذا كان العمل محتاجا الى ذلك ام لا فان لم يكن له اعوان امسك عنه كما امسك
عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وانصار وان وجده معانا عليه فلقدم عليه
فانه منصور ولا يفوت النجاح الا من فوات خصلة من هذه الخصال والانفع
اجتماعها فلا يفوته النجاح فهذه اربع مقامات يحتاج الى محاسبة نفسه عليها

قبل

قبل الفعل فاكل ما يريد العبد فعله يكون مقدورا له ولا كل ما يكون مقدورا له يكون
فعله خيرا من تركه ولا كل ما يكون فعله خيرا من تركه يفعله الله ولا كل ما يفعله
الله يكون معانا عليه فاذا حاسب نفسه على ذلك تبين له ما يقدم عليه وما يحجم عنه

فصل

النوع الثاني محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة انواع احدها
محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حقوق الله فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي وحق
الله في الطاعة بمراعاة ستة امور قد تقدمت وهي الاخلاص في العمل والنصيحة
فيه ومتابعة الرسول فيه وشهود منة الله عليه فيه وشهود منة الله عليه
وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله فيحاسب نفسه هل وفى هذه المقامات حقها وهل
اتى بما في هذه الطاعة الثاني ان يحاسب نفسه على عمل كان تركه خيرا له من فعله الثالث
ان يحاسب نفسه على امر مباح او معتاد لم فعله وهل اراد به الله والدار الاخرة
فيكون رابحا فيه او اراد به الدنيا وعاجلها فيخسر فذكر الربح يقوي الظفر

فصل

واضر ما عليه الاهمال وترك المحاسبة والاسترسال وتسهيل الامور وتمشيتها
فان هذا يوشك ان يدخل به الى الهلاك وهذا حال اهل الغرور يغمض عينه عن العواقب و
يمشي الحال ويتوكل على العفو فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة واذا فعل
ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب والانس بها وعسر عليه فطامها والوحشة منها
لعلم ان الجمية اسهل من الفطام وترك المالوف والمعتاد قال ابن ابي الدنيا حدثني
رجل من قريش ذكر انه من ولد طلحة بن عبيد الله قال كان ابن الصمة بالرقة و
كان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي
احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتا القى ربي باحد و
عشرين الف ذنب كيف وفي كل يوم الف من الذنوب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت
فسمعوا قايلا يقول يا ايتها ركضة الى الفردوس الاعلى وجماع ذلك ان يحاسب نفسه
اولا على الفرايض فان تذكر فيها نقصانا تداركه اما بقضاء او صلاح ثم يحاسبها
على المناهي فان عرف انه ارتكب منها شيأ تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات
الماحية ثم يحاسب نفسه على الغفلة فان كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر
والاقبال على الله ثم يحاسبها بما تكلم به او مشت اليه رجلاه او بطشته يداه
او سمعته اذناه ماذا اردت بهذا ولمن فعلته وعلى اي وجه فعلته ويعلم انه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)